

اللعان يوجب التفريق الأبدي بين الزوجين

..... فإذا قالت ذلك فرق الحاكم بينهما. والتفريق يعتبر أبدياً؛
بمعنى: أنها لا تحل له حتى ولو أكذب نفسه؛ بل تحرم عليه تحريماً مؤبداً. يعني: كتحريم نكاح أخته أو بنته أو أمه، لا يحل له
أن يتزوجها ولو بعد زوج أو بعد أزواج بل تحرم عليه. ثم سمعنا في حديث عويمر العجلاني أنه لما تمت الملائعة قال: كذبت
عليها يا رسول الله إن أمسكتها؛ فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره النبي صلى الله عليه وسلم. قد يفهم من هذا أنه له أن
يمسكها؛ والصحيح أنه تسرع، وإلا فلو سكت لأخبره النبي صلى الله عليه وسلم، وبين له أنها قد حرمت بمجرد تمام
الملائعة حرمت عليه، ولا يحل لك إمساكها كزوجة، وإذا فارقتك ولو تراضيتما بعد لم يحل لك الزواج بها؛ بل تبقى محرمة
عليه أبداً. هذا هو الحكم، ثم أخذ بعض العلماء من حديث عويمر جواز الطلاق ثلاثاً؛ لأنه طلقها ثلاثاً قبل أن يأمره النبي -
صلى الله عليه وسلم- وأجاب العلماء كابن القيم أن هذا الطلاق لا حاجة إليه؛ وذلك لأن تمام الملائعة تحصل الفرقة ولو
لم يطلق؛ فهي قد انفصلت منه، وقد بانث منه بينونة كبرى لا تحل له أبداً بقية حياتهما، ولو تاب، ولو ندم هو ولو كذب
نفسه فلا تحل له بتمام الملائعة بينهما. فهذا الطلاق وقع في غير محله؛ كأنه طلقها وهي أجنبية؛ فإن الرجل مثلاً لو فسخت
منه امرأته؛ فسسخها منه الحاكم، ثم بعدما فسسخها وبانث منه -أي: انتهت عدتها- طلقها، فقال: أنت طالق وطالق وطالق،
فهل هذا الطلاق يضرها؟ وهل يلحقها هذا الطلاق؟ لا يلحقها ولا حاجة بها إليه؛ لأنها قد ملكت نفسها. ثم في هذه في هذه
الآيات: قول الله تعالى: { وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ } المعنى: إذا وجدوا شهوداً يشهدون بأنها قد زنت؛
فإن العمل على شهادة الشهود، ولا حاجة إلى الملائعة، وإنما يحتاج إليها إذا لم يكن لهم شهود: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا
أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ } كلمة أشهد إنما تكون عما شاهده الإنسان، يعني: أقول عن مشاهدة، وأقول
عن رؤية ونظر وتحقيق؛ هذا هو أصل الشهادة. الشاهد يخبر عما شاهده يعني: عما رآه مشاهدة أي أمام عينه. والصدق: هو
الإخبار بما هو موافق للواقع: { إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } والمعنى: الصادقين فيما قذفها به: { وَالْخَامِسَةُ } أي: الشهادة
الخامسة. ذكرها الخامسة، ولكن ما ذكروا أنه يأتي فيها بلفظ الشهادة، وإنما يأتي فيها بلفظ اللعن؛ فلا يقول: أشهد بالله
أن علي اللعنة؛ بل يقول: وعلي لعنة الله إن كنت كاذباً، وكذلك قوله: { وَبَدَّرَ عَنْهَا الْعَذَابَ } يدرأه يعني: يدفعه عنها.
والعذاب: هو عقوبة الزنا كالرجم إذا كانت محصنة؛ فيقول: يسلمها من العذاب، ويدفع عنها العذاب، ويخلصها منه أن تشهد
أربع شهادات بالله، وكلمة أشهد أيضاً صريحة في أنها تأتي بلفظ "أشهد"، وإن كان معناه غير المشاهدة. المعنى: أقر
وأعترف أو أقول وأعلم أنه لمن الكاذبين فيما قذفني به ورماني. { وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا } فتقول: علي غضب
الله، ولا تقول: أشهد؛ علي غضب الله إن كان من الصادقين فيما رماني به .